«قَدْ أُكْمِلَ!»

«فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ: قَدْ أُكْمِلَ! وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ» (يوحنا ١٩: ٣٠).

تأليف: ادي كلور

عندما اقتربت نهاية آلام يسوع على الصليب من الظلمة التي خرج فيها كخاطيء من أجل جميع الخطاة، صرخ قائلاً «τετέλεσται» (أي: «قَدْ أُكْمِلَ!»). بينما يخبرنا يوحنا بما قاله يسوع، يخبرنا كتاب الأناجيل الآخرون بالكيفية التي تكلم بها. اثنين على الأقل من الجمل الثلاث التي قالها من على الصليب، قالها «بِصَوْتٍ عَظِيمٍ» (متى ٢٧: ٤٦، ٥٠؛ لوقا ٢٣: ٤٦؛ مرقس ١٥: ٣٧). يبدو انه استجمع كل ما تبقى من قواه ليلفظ هذه العبارة الأخيرة بصوتٍ عالٍ.

لقد تُرجمت الكلمة الواحدة «τετέλεσται!» التي لفظها يسوع بكلمتين عربيتين: «قَدْ أُكْمِلَ!» (يوحنا ١٩: ٣٠؛ في ترجمة فانديك المألوفة والأكثر تداولاً وفي ترجمة كتاب الحياة). أما الترجمة العربية الجديدة التي تصدرها دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط «TAV 063 DC» فقد ترجمت بثلاث كلمات عربية: «تَمَّ كُلُّ شيءٍ». وردت الكلمة اليونانية في صيغة الفعل التام المفرد والمجهول والغائب من الفعل «تليو τελέω». وتفيد بان شيء ما يتم «تحقيقه أو تكميله أو تتميمه». وتدل صيغة الفعل التام منها إلى أن عمل ما تم تكميله وسيبقى مكتملاً دائماً. والفعل التام يدل على حدوث شيء في الماضي ونتيجته قائمة في الوقت الحاضر وستبقى قائمة في الأيام القادمة.

من الجلي انه قد تم إنجاز أو تتميم شيء ذا أهمية كبرى وعاقبة هائلة. ولكن يسوع لم يوضح ما ذلك الشيء. بل تحدث عنه بصيغة الغائب المفرد المجهول.

ما هو ذلك الشيء؟

كلامه هذا يعني زوال آلام الصلب. لقد انتهت الآن محنة الصليب وعذابه اللذان طالا. كان ظل الصليب عليه من المذود إلى نهاية خدمته الأرضية. كان من الضرورة أن يحمل الصليب في قلبه كل يوم عاشه. لا يتخيل أحد الضغط المستمر الذي وضعه الصلب على يسوع عندما كان يلوح أمامه. لم يتحرر أبداً من معرفة انه كان عليه أن يحتمل دينونة الخطيئة المرعبة حتى يقول من على الصليب: «قَدْ أُكْمِلَ!»

كلامه هذا يعني تتميم نبوءات الأنبياء. كان يعلن للجميع لكي يسمعوا ويفهموا انه قد تمم أسفار العهد القديم. أُعْطِيَ له قصد الله الأزلي فأنجزه. عندما اجتمع مع رسله وتلاميذ في مساء يوم الأحد الأول بعد قيامته، بدأ يقول لهم: «هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ: أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ» (لوقا ٢٤: ٤٤). وكان قد قال للتلميذين في طريق عمواس: «أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟» (لوقا ٢٤: ٢٦). عندما قال يسوع «قَدْ أُكْمِلَ!» أعلن بذلك تتميم جميع ما قاله الأنبياء عن الصليب.

كلامه هذا يعني النصر على قوة الخطيئة والموت. كلمته هي كلمة النصر. لقد زالت آلام هذه الكلمة واكتملت إنجازاتها، ويمكن اعلان نصرها الآن. كتب أوسوالد شامبرس قائلاً: «أرجو ألا تبني دعوى الغفران على الفكرة بان الله أبينا وسيغفر لنا لأنه يحبنا. لأن

هذا يعارض الحق الذي أعلنه الله في المسيح»[1]. وكان على حق. لأن الله يغفر خطايانا فقط لأن يسوع أخذها معه إلى الصليب ودفع ثمنها بموته. صحيح أن الله يحبنا أكثر مما تستطيع الكلمات التعبير عنه، ولكنه لا يغفر لنا إلا بواسطة ذبيحة يسوع الكفارية على الصليب.

أعلن الله الآن أن الخلاص متاح لجميع الذين يقبلون إليه بإيمان مطيع. وأشار إلى التغير في تعاملاته مع البشر بشق حجاب الهيكل من فوق إلى أسفل وزلزلة الأرض بزلزال عظيم. فتح هذا الزلزال القبور - ودخل الذين قاموا من الأموات إلى أورشليم بعد قيامة يسوع.

ليس هناك كلمة قيلت في تاريخ العالم تحمل مضموناً قوة أعمق من العبارة قبل الأخيرة التي تكلم بها يسوع من على الصليب. «موت يسوع المسيح هو تميم في تاريخ فكر الله وقصده. ليس هناك مجال لرؤية يسوع المسيح كشهيد. لم يكن موته شيء حدث إليه (شيء كان يمكن تجنبه)، بل كان موته هو السبب من مجيئه»[2]. عندما قال: «قَدْ أُكْمِلَ!» أعلن بذلك زوال سيادة الصليب على الحياة، وتتميم اعلانات الأنبياء، ونهاية لسيطرة إبليس والخطيئة والموت. «وَلكِنْ شُكْرًا لله الَّذِي يُعْطِينَا الْغَلَبَةَ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (١ كورنثوس ١٥: ٥٧).

❖-❖-❖-❖-❖

لأن يسوع قال «قَدْ أُكْمِلَ!» يمكننا أن نردد بثقة تامة الآن الأسئلة البيانية التي طرحها بولس في الأصحاح ٨ من الرسالة إلى أهل رومية: «... إِنْ كَانَ اللهُ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا؟» (آية ٣١)؛ «مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي الله؟ ...» (آية ٣٣)؛ «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ ...» (آية ٣٥).

[1] أقتبس من أوسوالد شامبرس في كتاب بعنوان «His Passion: Christ's Journey to the Resurrection» صفحة ٣١٨.

[2] راجع المرجع السابق.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩